University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الثاني – مارس 2015

تجلِّيَات الرمز في الشعر الليبي المعاصر

د. علي عياد محمد صالح.

(محاضر بقسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم بالمرج – جامعة بنغازي – ليبيا)

العدد الثاني – مارس 2015

المقـدّمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه، الهادي إلى صراط مستقيم، صلى الله وسلم وبارك عليه وآله وصحبه وزوجاته والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فلقد لجأ الشاعر الليبي إلى استخدام الرمز كوسيلة فنية للتعبير غير المباشر عما يريد، وتقنع بشخصية من الشخصيات فتشبث بها وانطلق منها نحو ذاته، معبرا بوساطة التقنع بها عن مكنونات نفسه، مبيحا عن طريق التقنع بتلك الشخصية عن أسراره إلى المتلقي.

وصارت تقنية الرمز مظهرا من مظاهر الحداثة وما بعدها في الشعر العربي الحديث.

وهذا البحث يتجه إلى دراسة الرمز في بعض قصائد الشعراء الليبيين المعاصرين من خلال ثلاثة مباحث، فالمبحث الأول يدرس ماهية الرمز ، في حين يعمد المبحث الثاني إلى دراسة الرمز في الشعر الليبي، وكيف وظّفه الشاعر الليبي المعاصر لخدمة قدراته التعبيرية، وأما المبحث الثالث فقد تناول شخصيات الرمز التاريخية والدينية والشعبية التي استعان بها الشعراء الليبيون لإثراء تجربتهم الشعرية.

وثمة دراسات عديدة تناولت الرمز في الشعر العربي، منها:

- الرمزية والإيحائية في شعر بدر شاكر السياب لخيرية عجرش، وقيس خزعل، وتناولت الدراسة المذهب الرمزي في شعر السياب الذي كان له دور أساسي في تعيين اتجاه الشعر في الخمسينيات والستينيات في العراق والعالم العربي.
- الرمز في الشعر العربي، للدكتور جلال عبدالله خلف، وهذه الدراسة ناقشت موضوع الرمز في الشعر العربي، كونه من الموضوعات الأدبية المثيرة للجدل.

- تعريف الرمز:

الرمز في اللغة: الإشارة والإيماء.[1] وهو في الاصطلاح الأدبي: "علامة تعتبر ممثلة لشيء آخر ودالة عليه، فتمثله وتحل محله".[2]

وهو من الوسائل الفنية المهمة في الشعر، يعمد الشاعر فيه إلى الإيحاء والتلميح بدلا من اللجوء إلى المباشرة والتصريح.

ويعد الرمز أسلوبا من أساليب التصوير، أو وسيلة إيحائية من وسائله، فكلاهما ـ الرمز والصورة ـ قائم على التشبيه، وعلاقتهما أقرب إلى علاقة الجزء بالكل.[3]

---

[1]- لسان العرب، مادة "رمز".
[2] - المعجم المفصل في الأدب ، 2: 488 .
[3]- الرمز و الرمزية في الشعر العربي المعاصر، ص: 139 .

والصور الرمزية ذاتية لا موضوعية، كما يقول الدكتور محمد غنيمي هلال، إذ إن الصور الرمزية " تبدأ من الأشياء المادية، على أن يتجاوزها الشاعر ليعبر عن أثرها العميق في النفس في البعيد من المناطق اللاشعورية، و هي المناطق الغائمة الغائرة في النفس، ولا ترقـــى اللغة إلى التعبير عنها إلا عن طريق الإيحاء بالرمـــز المنوط بالحدس".[4]

والرمز تقنية عالية، يرتفع بها شأن الصورة. والإكثار من استخدام الرمز والأسطورة من أبرز الظواهر الفنية التي تلفت النظر في تجربة الشعر الجديد.

فمما لا شك فيه أن ما يميز الشعراء بعضهم من بعض، هو الجانب الفني أو الجمالي، لغة وأسلوباً و صورة وخيالاً، و هذا الجانب يظهر في أنماط معينة، وأطر محددة، تختلف من شاعر لآخر، و هذ البحث يسعى لمعرفة كيفية استخدام الشعراء الليبيين المعاصرين لهذه التقنية الفنية، ومدى ما بلغه التوظيف الدرامي لها في شعرهم بمنأى عن عقد المقارنات المباشرة، إذ إن الغاية الأساس إبراز هذا الفن الأدبي لدى هؤلاء الشعراء، والكشف عن مواطن الجمال التي يتضمنها النص الشعري الحديث، ومدى قدرته على التأثير في المتلقي.

- **الرمز في الشعر الليبي:**

أن الشاعر "لا يستطيع أن يبعث الحياة في شخصية، وإنما يستطيع أن يحاكي شخصية معروفة من قبله فحسب".[5]

ومما يدل على براعة الشاعر وسعة تجاربه وعمق نضجه الفكري توظيف الرمز في شعره؛ لأن "الرمز الشعري مرتبط كل الارتباط بالتجربة الشعورية التي يعانيـــها الشاعر، والتي تمنح الأشياء مغزىً خاصاً".[6]

فتوظيف الرمز في العمل الشعري يمثل نوعاً من امتداد الماضي في الحاضر، ويمنح الرؤية الشعرية نوعاً من الشمول والكلية، فتعبر حواجز المكان والزمان، لتعانق فضاء أرحب يلتقي فيه الماضي مع الحاضر.[7]

والشاعر الليبي المعاصر – كغيره من الشعراء – وجد في التعبير الرمزي التكنيك الفني الذي يضفي نوعاً من الدراما على عمله الشعري، فالفن "بما فيه من كتابة النص الدرامي يقوم على اعتماد لغة رمزية"،[8] يتجـــه إليها الشاعر المعاصر عندما يحـــسُّ أن ما حوله "اتخذ شكلاً استثنائياً لا يحتمل التعبير عنه على وفق المنطق التقليدي وعلاقاته الرتيبة التي لا تتفق ومشاعر الفنان

4- النقد الأدبي الحديث ، ص: 418 .
5- في الشعر والشعراء (ت .س . اليوت) ترجمة : محمد جديد ، ص: 124.
6- الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية) ص: 198.
7- ينظر: عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، ص: 128.
8- الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية) ص: 198.

المكثفة الحادة"،[9] فيلجأ إلى الرمز الذي يحـتّم على الشاعر "أن يخلق السياق الخاص الذي يناسب الرمز".[10]

- شخصيات الرمز:

والشعر الليبي المعاصر حفل بكثير من الشخصيات الرمزية واتّكأ عليها الشعراء محاولين من خلالها تقديم صورة متكاملة للواقع المعاش في بلدهم، معتمدين عليها في تحميل الموقف الحاضر - بما تملكه من دلالات سابقة ومعطيات - كلّ ما مرّ بهم من تجارب شعورية ذاتية، ولعلّ أبرزها: الرموز التاريخية، الرموز الدينية، الرموز الشعبية.

أ- الرمز التاريخي:

مثلت الشخصيات التاريخية معيناً لا ينضب عكف عليه الشاعر الليبي المعاصر ينهل منها إذا وجد ثمة علاقة تشابه بينه وبينها، فيجعلها عنصراً أساساً في بناء قصيدته من خلال اتخاذها قناعاً يجسد معاناته وآلامه، محاولاً في ذات الوقت إيجاد "التوافق بينها وبين واقعه المعاصر الذي يريد التعبير عنه ، فإنه في حقيقة الأمر يحاول التوفيق بين نوعين مختلفين من الخطاب التاريخي والخطاب الشعري".[11]

من تلك الشخصيات شخصية "الحسين بن علي بن أبي طالب" حفيد النبيّ ﷺ وسيد شباب أهل الجنة.[12]

فقد رأى الشاعر الليبي في الحسين ﷺ رمزاً لصاحب القضية النبيلة الذي يظل حياً يتجدد في ذات كل بطل شريف، ورمزاً للمبادئ الخالدة التي جعلته مع إدراكه "سلفاً أن معركته مع قوى الباطل خاسرة"[13] يبذل دمه الطاهر في سبيل تلك القضية، وما يحمله من مبادئ.

إن الغدر الذي تعـرَّض له الحسين ﷺ ترك وراءه جرحاً لا يندمل في قلب كل مؤمن موحد، فبعد مقتله - غدراً – ازدادت الفتنة التي عصفت بهذه الأمة الإسلامية، وشعراؤنا استخدموا هذه الشخصية ليؤكدوا "أن الهزيمة التي تلقاها الدعوات والقضايا النبيلة في هذا العصر، واستشهاد أبطالها - المادي أو المعنوي- إنما هو انتصار على المدى الطويل لهذه الدعوات والقضايا".[14]

وهكذا صار الحسين ﷺ رمزاً لكل بطل استشهد في سبيل قضيته وما يحمله من مبادئ.

يقـــــول الشاعر "عبد الحميد بطاو":[15]

9- الترميز في الفن القصصي العراقي الحديث ، ص: 31.
10- الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية) ص: 200.
11 - أشكال التناص الشعري ، ص: 359.
12 - ينظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ص: 641 .
13 - استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، ص: 153.
14 - نفس المرجع والصفحة.
15 - بكائية جالبة المطر ، ص: 35 ، 36.

في زمن مضى
أو ربما يجئ أو في هذه الأثناء
جند الحسين أو يزيد لا تهمُّ هذه الأسماء
أرى السيوف والرماح قد غدت بنادق ..
* * *
فلتفقأ العيونْ لم يزل رأس الحسينْ
يسقط كل يوم بيننا معفّر الجبينْ
ولم نزل نهمُّ أن نقول ما نريدْ
لكننا نبتلع الكلام
مرغمين خائفين من يزيدْ ...

ينسج النص دلالته الرمزية من البعد النفسي الذي يحمله استحضار مقتل "الحسين ﷺ"، فرأس "الحسين ﷺ" التي سقطت ظلماً وغدراً ترمز إلى التضحية والاستشهاد، ويبرز "يزيد" ليكون رمزاً للقتل والتعذيب والاستبداد الذي يفتك بأوصال المجتمع فيقطعها، والذي يبدو لي أن الشاعر سعى إلى خلق مزاوجة بين الاستشهاد والفتك والاستبداد في إشارة منه إلى ضرورة بذل الدماء وتقديم التضحيات من أجل نيل الحريات وتحقيق المآرب النبيلة والغايات.

ووظف الشاعر الليبي المعاصر شخصية "الحجاج بن يوسف" رمزاً للبطش والاستبداد والطغيان وتسلط الحاكم؛ لأنه أطاح بكل رأس حاول أن يرتفع في وجه جبروته وطغيانه، لذا فهو "رمز لكل قـــوة باطشة تعمل على قمع الحق بالقـــوة"،[16] يقول الشاعر "السنوسي حبيب":[17]

(هذا ثمر رؤوس آن قطافه)
تتلألأ شفرة سيف الحجاج
تتصلب أعراق الرقبة والرأس
ترتعش الركب .. الأقدام .. الأقلام
ينكمش صداحُ الكلمات
همساً
وشوشةً
صمتاً
موتاً

لقد وجد الشاعر الليبي في شخصية "الحجاج بن يوسف" القناع الذي يمكن أن يلبسه للطغاة والمستبدين الذين يفرضون آراءهم وأوامرهم على الآخرين بقوة القهر، فكشف بذلك زيف المتردي، من تشريد وتقتيل، وظلم لشعبه الليبي المقهور، يقـــول الشاعـــر "علي صدقي":[18]

فتشوا عنه، عساه كامن بإصبع الحاكم، تحت ضرسه
المسوس المنهار

16 - استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، ص: 157 .
17 - عن الحب والصحو والتجاوز ، ص: 24 .
18 - الأعمال الشعرية الكاملة ، علي صدقي عبد القادر: 1: 639 ، 640 .

فتشوا لابد مندس بإبط واحد من التتار أو بنعل آمر جبار
فتشوا (الحجاج) من أكفانه فرَّ، باسم مستعار

نلحظ أن النص السابق قد اعتمد على أكثر من دلالة رمزية، فـ "الحجاج" رمز للبطش والقتل والقسوة، و (إصبع الحاكم) رمز للإشارة بالقتل والفتك، وأما (الإبط) فيرمز للرائحة غير المرغوب فيها المتخفية وراء هجمة (التتار) في حين أن (النعل) يرمز للسحق والإبادة بالدوس، كل هذه الرموز - في رأي الباحث - تتضافر لتعطي رمزاً تاريخياً للقمع والبطش التي يصبح الحجاج رمزاً له، فهو قد جمع في النص السابق أدوات القمع المعروفة في تاريخ الإنسانية (الحاكم المستبد، التتار).

ومن الشخصيات التاريخية التي استدعاها الشاعر الليبي المعاصر ليدعم تجربته الشعرية ويمنحها القوة التأثيرية في المتلقى شخصية البطل الليبي المناضل "عمر المختار" رمز النضال الدرامي الطويل ضد المحتل الإيطالي، فهذا البطل قاد الحرب الشعبية المسلحة ضد العدو الإيطالي وكان يناهز الثمانين من العمر، لكنه تسلّح بالإيمان والتوكل على رب العالمين، فاستطاع ومَنْ معه من المجاهدين إلحاق هزائم متتالية بالعدو سطرت بمداد من ذهب في تاريخ نضال الشعوب ضد الطغاة المحتلين، فلا تذكر (ليبيا) إلا ويذكر معها بطلها "عمر المختار"، يقول الشاعـــــر "خالد زغيبة":[19]

شرعت كتائبها المجيدة في
النضال
بقيادة المختار تحصد بالرصاص
المعتدين
ترمي بهم أشلاء ، دامية النثارْ
وتبدد الأطماع ، أطماع اللصوص
كالريح إذ تذرو الرمال

لقد مثل "عمر المختار" للشعراء الليبيين نبراساً للحرية، ورمزاً لذلك البطل المؤمن بقضيته، الذي يتألق اسمه ويتلألأ في مختلف أصقاع الأرض؛ لأنه لا يرى الحرية والمجد، "إلا في مواجهة الأعداء، ومقارعة الخصوم، وليس باتقاء شرهم، والبعد عن مناجزتهم".[20] يقول الشاعر "علي صدقي":[21]

من (ليبيا) من (عمر المختارْ)
(القاهرهْ)
موقدة النهارْ

19- أغنية الميلاد ، ص: 116.
20 - جذور القومية العربية ، ص: 31 .
21 - الأعمال الشعرية الكاملة : 1: 473.

رأيت بالطريق هذا الدهر قد ولدْ
وشبَّ مرتين ، أو ثلاثْ
لمست سقف هذه الدنيا بلذة الطفولهْ
لبست ألف عمرْ
تدحرجت بكاهلي الجبال كالعقيقْ
وسرت بالطريقْ

من خلال النصين السابقين للشاعرين "خالد زغيبة، وعلي صدقي" نلمح تداخلاً في المستويات الدلالية لصورة "عمر المختار" عند الشاعرين، فهو يمثِّـل:

- رمز الرفض والثورة.
- من الشرف والبطولة.
- رمز الوطنية.

وهكذا فكلما ذكر "عمر المختار" تبادر للذهن معنى الشجاعة والتضحية والإقدام، لذا فإن الشعراء الليبيين دائماً يقرنون شخصية "عمر المختار" بالجـــهاد والنضال؛ لأن قيمة "عمر المختار" - فيما يبدو - تتجلى في معاني البطولة وشدة البأس برغم كبر سنه من أجل طرد المحتل الإيطالي وتحرير تراب الوطن من دنسه، لذا فالشاعر يحافظ "على حدود العلاقة الثنائية التي يقيمها مع هذا الرمز الحقيقي الذي تذوب فيه العلاقة ذات البعدين أو أكثر من وحدة دلالية احتمالية، تنفجر إيحاءً متجدداً، وظلالاً كثيفة".[22]

ب- الرمز الديني:

شكلت الشخصيات الدينية على تنوعها وما تحمله من دلالات مصدراً سخياً من مصادر الإلهام الشعري الغني بكثير من الطاقات الإيحائية الزاخرة بالعطاء النفسي والوجداني الذي تتجلى من خلاله معاناة تلك الشخصيات في عصرها وواقعها التي عاشت فيه، فالشاعر الليبي المعاصر وجد في هذا التراث "أدوات يثري بها تجربته الشعرية ويمنحها شمولاً وكلية وأصالة، وفي نفس الوقت يوفر لها أغنى الوسائل الفنية بالطاقات الإيحائية وأكثرها قدرة على تجسيد هذه التجربة وترجمتها ونقلها إلى المتلقي".[23]

وقد أكثر الشاعـــر الليبي المعاصر مـــن ترديد أسماء الأنبياء عليهم الصلاة والســـلام "آدم، نوح، يوسف، عيسى، محمد ﷺ"، لما وجد في سيرهم العطرة من عذاب وألم وظلم من قومهم وعشيرتهم، وإنكارهم وتجاهلهم لما يدعون إليه من رسالات سماوية فيها الخلاص والانعتاق للبشرية فوظَّـفها في الوقت المناسب،" فكل من النبي والشاعر الأصيل يحمل رسالة إلى أمته

[22] - الأوراس في الشعر العربي المعاصر ، ص : 15 .
[23] - استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، ص : 93 .

والفارق بينهـــما أن رسالة النبي رسالة سماوية، وكلٌّ منهما يتحمل العنت والعذاب في سبيل رسالته ويعيش غريباً في قومه محارباً منهم أو في أحسن الأحوال غير مفهوم منهم".[24]

وتبعاً لذلك فقد اتجه الشعراء الليبيون المعاصرون إلى "استعارة شخصيات الرسل ليعبروا من خلالها عن أبعاد تجاربهم المعاصرة".[25]

فالشاعر وظف شخصية نبي الله "نوح عليه السلام" لتكون رمزاً للصبر وانتظار الفرج مع المثابرة والعمل الجاد، فنبي الله "نوح عليه السلام" امتثل أمر ربه لمَّا عصاه قومه وصنع السفينة لتحمله ومَنْ آمن معه إلى أرض جديرة أن تكون منبتاً غضاً لدعوة التوحيد، يقول الله تعالى ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ، تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾[26]، وأرسل الله على العصاة من قومه الطوفان، فلم ينجُ إلا مَن ركب السفينة، يقول الشاعر، "عبد المجيد القمودي":[27]

من مقلتيه احتدَّ شوق الكلمات
صفعوا وجهي :
(أتماري الله فيما يشاء يا هذا) ؟!!
أتبغي أن تحلَّ علينا اللعنات ؟
عندما حاولت أن أصنع من حرفي سفينهُ ، مثل نوح
عندما أحسست بالطوفان آت

إن الشاعر في هذا النص يستحضر موقفين يعبران عن واقع معيش، فالأول استدعاؤه لشخصية "نوح عليه السلام" الذي تمكن من تأصيل دور المنقذ لقومه، المخلِّص لهم من الغرق، لمَّا أدرك بأن الطوفان آت بأمر الله تعالى.

وكذلك الشاعر فهو يعيش ذات الموقف مع واقعه واقع معاناة الكلمة الهادفة في مواجهة قوم لا يفهمون ما يقول، وأما الموقف الثاني فإن سفينة "نوح عليه السلام" - في التدال في النص الشعري - ليست من ألواح ودسر، بل من كلمات وحروف، فالشاعر وظَّف هـــذا الموقف الرامز في دلالة أن "موضوع الطـوفان يعتـبره الكثيرون واحـــداً أو "أيتماً" من أساسيات أساطير الخلق المبكرة جداً عند مختلف الشعوب، فالطوفان بداية لخلق أرض – موعودة – جديدة".[28]

كما نلحظ أن الشاعر استطاع أن يضع المتلقي في الدلالة الحقيقية لتلك المقارنة التي عقدها بين رد فعل قوم "نوح عليه السلام" الذين استهزأوا به وسخروا منه وهو يصنع السفينة، ورد فعل قومه الذين صفعوه ومنعوه من أن يسوي حرفه المنقذ، فاستعارته بعض الأحداث المتعلقة بهذه الشخصية "أصبح رمزاً يجمع بين الواقعي – هو صورته المادية – والتجريدي – وهو محتواه الرمزي – ويتجاوز العلاقات الحسية والدلالات الوضعية الضيقة".[29]

---

24 - استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، ص: 97 ، 98 .
25 - نفسه .
26 - سورة القمر ، آية : 13 ، 14 .
27- قصائد بين يدي وطني ، ص: 113 .
28 - موسوعة الفلكلور والأساطير العربية ، ص: 677 .
29 - الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، ص: 285 .

وشخصية "المسيح عيسى بن مريم عليه السلام" نالت مساحة شاسعة مهمة في دواوين الشعر الليبي المعاصر، فقد وجدوا فيما تحمله من دلالات مختلفة ما يتوافق ومعاناتهم ويعبر عن رؤاهم.

فالشعراء الليبيون "أسقطوا كل الآلام سواء أكانت تلك الآلام مادية أو معنوية"[30] على الملامح المستمدة من الموروث المسيحي، وبالأخص (الصلب، والفداء، والحياة، والموت) فشاعرنا "علي الفزاني" يعتبر نفسه مسيحاً يتحمل المعاناة والألم الجسدي في سبيل أداء رسالته والإسهام في بناء جيل جديد واعٍ بما يدور حوله، فيقول:[31]

صلبوني فوق أعواد حقيرهْ
من غصون قد تغنى فوقها شادٍ ونائح
لم أقلها إنني كنت نبياً
أتلقى الوحي من إله في الأعالي
غير أني عدت يوماً .. وصليبي فوق ظهري
وتلمست طريقي عبر دربي
فوجدته
ومشيته
حافياً تدمي خطاي
صفق الأطفال ... ها قد عاد للأرض المسيح

نلحظ في النص السابق غلبة الأفعال على البناء العام (صلبوني، تغني، أقلْها، كنت، عدتُ، تلمست، فوجدته، مشيته، صفق، عاد) مما يدل على نفسية الشاعر المعذبة من طول الصمت ومرراته، وديناميةالنص المتدفقة من أجل توليد دلالة أن الصلب ثمن لمعانقة الشعر والكلمة "فالصليب * رمز من رموز المطر والخصب".[32]

أما شخصية خاتم الأنبياء "محمد ﷺ" فقد حضرت بكثرة في الشعر الليبي المعاصر، إذ مثَّل شخصه الكريم دلالة البطل المنقذ الذي أخرج البشرية من ظلمات الشرك والجهل إلى نور التوحيد والمعرفة.

فالشاعر "القمودي" وظف شخصية رسول الله ﷺ رمزاً للمخلِّص الذي ينقذ الأمة قبل فوات الأوان، فيقول:[33]

يا حمامة ....
ناشدي السمح الذي في (الغار)
أن يخرج كي ينقذنا مما نعاني
قبل أن يدركنا يوم القيامة

30 - استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، ص: 104.
31 - الأعمال الشعرية الكاملة ، ص: 25 ، 26.
32 - أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث ، ص: 51.
33 - قصائد بين يدي وطني ، ص: 114.

أما الشاعر "علي الفزاني" فإنه يستدعي شخصية رسول الله ﷺ في صورة الثائر المتمرد الغاضب من واقع الأمة العربية المتردي، الحامل لواء النضال في سبيل تغيير هذا الواقع المظلم بما فيه من هزائم وتمزق للأمة الواحدة، فيقول:[34]

إني رأيت ذات ليلة ، رأيت في المنام
(محمداً) ممتطياً براقه بلا لجام
رأيته سمعته يقـــــول :
أليس بين أمتي ، أليس من (أخيل)
أهكذا يضيع كلُّ ، كل هذا
كل أمتي تمزقت ، غدت فلول

إن السياق الشعري في النصوص الثلاثة السابقة قد اعتمد الشعراء فيه على توظيف شخصية الرسول ﷺ لتصوير جوانب من تجاربهم الشعرية الخاصة، فلقد "وُفق كل من هؤلاء الشعراء في أن يعثر في ملامح شخصية الرسول الكريم على ما يتلاءم والدلالة المعاصرة التي أسقطها عليها".[35]

ج- الرمز الشعبي:

أقبل الشعراء الليبيون على هذا اللون التراثي، لإدراكهم "بأن الاتِّكاء على هذا التراث، لا يكفل التجاوب الأوسع مع ذلك الشعر وحسب، بل يقدم أيضاً شهادة على الاعتزاز بالموروث المشترك، ويكشف عن خوف دخيل من ضياع رابطة تعد مقدسة حين تتعرض أقلية ما للانصهار في تيار كبير"،[36] وتوظيف التراث الشعبي في الشعر يصبغه "بلون محلي إقليمي خالص يصعب أن يتخطى حدود الإقليم الواحد، وهو يرسم بذلك مستوى آخر – أعمق دلالة على الإقليمية – من الطابع الإقليمي العفوي الذي يميز الشعر المصري عن العراقي عن اللبناني عن التونسي ... هذا الطابع يكاد يكون أمراً لا مفر منه".[37]

ومن الشخصيات التي تنتمي إلى الفلكلور الشعبي واهتم بها الشعراء الليبيون شخصية "السندباد"، فقد " تعددت ملامح شخصية السندباد ووجوهه في الشعر العربي المعاصر بتعدد أبعاد تجربة الشاعر المعاصر وتنوع ملامحه النفسية والاجتماعية والفنية، وإن كان من الممكن رد وجوه السندباد وملامحه – على كثرتها وتنوعها – إلى وجهه الأصيل ،وجه المغامر الجوّاب بحيث يمكن لكل وجوه السندباد الأخرى أن تعد ملامح تفصيلية لهذا الوجه الأساسي".[38]

34 - المجموعة الأولى من الأعمال الشعرية الكاملة ، ص: 377.
35 - استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، ص: 104.
36 - اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، ص: 118.
37 - اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، ص: 119 ، 120.
38 - السندباد بين التراث والشعر العربي ، ص: 205.

فالسندباد البحري يعدُّ "رمز الاكتشاف والبحث عن عوالم الامتلاء والخصوبة، قد ألهمت الشعراء بوصفها المعادل الموضوعي لإشراقات رؤيوية رؤيا البعث المنتظر لواقع هش ومتآكل".[39]

لقد تنوع استخدام شخصية "السندباد" في التراث بصفة عامة، حيث مثل رمز المغامر الرحالة الذي يسافر في رحلات عجيبة مملؤة بالغرائب والطرائف والأخبار والهدايا مع ما يصاحب تلك الرحلات من أهوال ومخاطر وعناء وغربة، إلا أننا نجد أن الشعراء الليبيين بصفة خاصة وظفوا هذه الشخصية للتعبير عن تلك المشقة التي يجدها الشاعر في البحث عن الكلمة والمعاناة التي يواجهها في سبيلها، لذا فهي مغامرة قد تنتهي بالفشل والخسران "وليست عملية الإبحار أو المغامرة أو الاستكشاف مقصورة على المساحة المكانية الواقعة خارج الذات نفسها، بل إنها يمكن أن تتجه إلى الأصعب، أي إلى الذات نفسها، في رحلة طويلة من العذاب والمعاناة".[40]

فالشاعر "جيلاني طريبشان" يستدعي شخصية "السندباد" لتكون رمزاً للتجوال بحثاً عن حلم التغيير والثورة على واقع المجتمع المرير، لكن هذا الحلم تحول إلى سراب لامع ينتهي بضياع ذاك الحلم، فيعود "السندباد" من رحلاته الطويلة مثقلاً بالهموم والأحزان واليأس، فيقول:[41]

أذبله التجوال
يعود من حيث أتى
منكس الراية والحراب
ملء يديه الريح والسراب
مهاجراً ألقى عصا الترحال عند الغاب
منتظراً
أن نضرم النيران في الأخشاب
أن يقدم الأحباب
وأن يطل القمر الخجول لحظة الإياب
لكنه ظل وظلت الأشياء في السراب

ويستعمله شاعرنا في ذات القصيدة ليصبح رمزاً للمغامرة وركوب المخاطر، وصولاً إلى إدراك المجهول، فيقول:[42]

يا سندباد عد إلى غربتك
يمامة ، قبرة ، غرابْ
وليس في بابل غير القمعْ
والوحشة والعذابْ
مشى عليه الموت حلمنا
وغاص في العُباب

39 - الرؤيا والتأويل (مدخل لقراءة القصيدة الجزائرية المعاصرة) ص:113.
40 - ظاهرة الغموض في الشعر الحر ، ص 76.
41 - رؤيا في ممر 1974 ، ص: 53.
42 - نفسه ، ص: 54.

النص يستحضر رحلات "السندباد" الدائمة التي يسعى من خلالها لاكتشاف المجهول الذي يتحول إلى واقع مرير يدفعه للهرب من القمع وطلب النجاة، فتصبح (بابل) دلالة على الوطن العربي وما يفعل فيه الأعداء من تمزيق وتعذيب ، تغتال الآمال وينتهي بها الأمر إلى العدم.

ومن الشخصيات التراثية التي استمدها الشاعر الليبي من كتاب "ألف ليلة وليلة" شخصية "شهرزاد" التي ترمز إلى المرأة العربية "التي مازالت تعيش أسيرة عصر الحريم، تنتهي آمالها عند تحقيق حياة مادية باذخة تفيض بالترف والدعة والخمول".[43]

فالشاعر الليبي المعاصر استدعى هذه الشخصية لتكون رمزاً للمرأة الصلبة الواثقة من إمكاناتها في ترويض الظالمين والعتاة وتجعلهم يعودون إلى رشدهم، يقول الشاعـــر "أبوالقاسم أبوديَّـــة":[44]

عصرنا اليوم بحاجة
لعديد من نساء
مثلك يا شهرزاد
فعسى يصلحن من طبع العباد
* * *
إنهم حتماً بحاجة
لحليلة وحليلة
مثلك يا شهرزاد
فعساهم
أن يثوبوا للرشاد

نلحظ في البنية الدرامية للنص السابق أنها اعتمدت على كثافة الأفعال (فعسى، يصلحن، فعساهم، يثوبوا) مما يدلّ على نفسية الشاعر الجانحة للمرأة القوية الذكية، وديناميةالنص المتدفقة من أجل توليد دلالة أن عصرنا الراهن في أمس الحاجة إلى "شهرزاد" جديدة تماثل سلفها الأولى في الصلابة والحنكة والذكاء.

ومن الناحية الصوتية نجد بعض الوحدات تتكرر أكثر من مرة: (بحاجة، فعسى، فعساهم، حليلة) إذ تدخل في إطار التشاكل الصوتي المعروف "بأنه كل تكرار لوحدة لغوية مهما كانت"،[45] الأمر الذي يضفي على النص نغمة موسيقية تتناسب وبنية القصيدة الدرامية وكذا غنائيتها.

لقد اكتسب التراث الشعبي ميزة مهمة "لأنه تراث حيّ، وحين يلجأ إليه الشاعر لا يحس أنه مثقل بما في الماضي الطويل من خلافات ومشكلات ... وتكمن الجاذبية في التراث الشعبي في أنه يمثل جسراً ممتداً بين الشاعر والناس من حوله".[46]

---

43 - استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، ص: 202.
44 - وانفجر البركان ، ص: 187.
45 - تحليل الخطاب الشعري ، ص: 19.
46 - اتجاهات الشعر المعاصر ، ص: 118.

ولعل السبب - فيما يبدو- في إقبال الشعراء الليبيين عليه يكمن في كونه يسهم في إيقاظ الشعور القومي ويمنحه الحيوية والتجدد.

- الخلاصـــــة:

وبعد، فالرمز وسيلة فنية درامية وسيطة بين الشاعر والمتلقي وظّفه الشاعر الليبي المعاصر ليسمو - من خلاله الجمهور - بأفكاره وخياله، ومثّل وسيطاً فكرياً ينقل بخصوصية رؤى الذات الشاعرة إلى المتلقي للتعرف عليها في سلسلة أحداث النص الشعري، فالشاعر الليبي عمد إلى مجموعة من المتناقضات في أشكال متعددة – تتأسس على هدف سام – فقام بتركيبها وتحميلها على عاتق شخصياته الدرامية مؤطراً إياها بروح أدبية وتاريخية ودينية وأسطورية يحييها ويبعث فيها الحياة ويبث - من خلالها - مشاكل عصره وهمومه الفكرية والسياسية والاجتماعية، لذا قدّم الشاعر الليبي شخصياته الدرامية تقديماً متكامل الأبعاد والصفات، سهّلت علي المتلقي فهمها وتحديد سلوكها ونشاطها وبالتالي فهم مقصود الشاعر، وإدراك تفاصيل الموضوع وأحداثه ومقوماته.

ثبت المصـــــادر والمراجع

- المصـــــادر:

- القرآن الكريم.
- الأعمال الشعرية الكاملة، علي صدقي عبدالقادر، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، طرابلس، 1985م.
- الأعمال الشعرية الكاملة (المجموعة الأولى) علي الفزاني، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، مطابع دار الحقيقة، بنغازي، ليبيا، 1975م.
- أغنية الميلاد، خالد زغيبة، المنشأة العامة للنشر، الطبعة الثانية، طرابلس ليبيا، 1986م.
- بكائية جالبة المطر، عبد الحميد بطاو، المنشأة العامة للنشر، الطبعة الأولى، طرابلس، 1983م.
- رؤيا في ممر عام 1974 (شعر) جيلاني طريبشان، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1978م.
- عن الحب والصحو والتجاوز، السنوسي حبيب الهوني، دار الحقيقة، الطبعة الأولى، بنغازي، 1975م.
- قصائد بين يدي وطني، عبد المجيد القمودي، منشورات المنشأة العامة للنشر الطبعة الثانية، طرابلس، ليبيا، 1982م.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري [ت 711 هـ] طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من الأساتذة المتخصصين، دار الحديث، القاهرة، 2003م.
- وانفجر البركان، أبو القاسم أبو دية، الطبعة الأولى، أكتوبر، 1971م.

- المراجـــــع:

- اتجاهات الشعر العربي المعاصر، إحسان عباس، دار الشروق، الطبعة الثانية، عمان، 1992م.
- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، طرابلس، ليبيا، 1978م.
- أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث، ريتا عوض، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1974م.
- الأوراس في الشعر العربي المعاصر، عبد الله ركيبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
- تحليل الخطاب الشعري، محمد مفتاح، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1985م.
- الترميز في الفن القصصي العراقي الحديث، صالح هويدي، دار الشئون الثقافية، الطبعة الأولى، بغداد، 1979م.
- جذور القومية العربية في الشعر الليبي المعاصر، نجم الدين غالب الكيب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، 1987م.
- الرؤيا والتأويل (مدخل لقراءة القصيدة الجزائرية المعاصرة) عبد القادر فيدوح، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الأولى، وهران، 1994م.
- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، محمد فتوح أحمد، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1978م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور بن حسن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الرياض، 2007م.
- الشعر العربي المعاصر "قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية" عزالدين إسماعيل، دار العودة ودار الثقافة، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 1972م.
- عن بناء القصيدة العربية الحديثة، علي عشري زايد، دار الفصحى، القاهرة، 1978م.
- في الشعر والشعراء (ت. س. اليوت) ترجمة: محمد جديد، دار كنعان للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، دمشق، 1991م.
- المعجم المفصل في الأدب، محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1999م.
- موسوعة الفلكلور والأساطير العربية، شوقي عبد الحكيم، دار العودة، الطبعة الأولى، بيروت، 1992م.
- النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة. د.ت.

- الدوريـــــات:

- مجلة الثقافة العربية، العدد: 4، فبراير/ 1974م. السندباد بين التراث والشعر العربي، علي عشري زايد.
- مجلة فصول، المجلد: 7، العددان: 1،2، أكتوبر، 1986م / مارس 1987م. ظاهرة الغموض في الشعر الحر، خالد سليمان.